

أَهْدَافُ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَنَتَائِجُهَا (الهجرة إلى المدينة)



محاور الموضوع

طبيعة الهجرة إلى المدينة ومقتضياتها.
معنى الهجرة.

خيار الهجرة وخطواتها

صفات المهاجرين في القرآن

الأبعاد الدينية والاجتماعية للهجرة

الهدف:

التعرف على معنى الهجرة وصفات المهاجرين وواجباتهم

تصدير:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾

حيث استطاع النبي ﷺ تهئية الأرضية المناسبة في يثرب كساحة مناسبة لبناء الدولة.

وبنفس الوقت، اكتملت استعدادات قريش للتخلص من النبي ﷺ بعد اجتماع دار الندوة الذي قرّر قتل النبي ﷺ وتفرق دمه بين القبائل. عندها جاء الأمر الإلهي يأمر رسول الله ﷺ بالتحرك والهجرة إلى يثرب لبناء دولة الإسلام ويمكن إيجاز الخطوات التي قام بها النبي ﷺ بالتالي:

- مبيت علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ فداءً له بنفسه بعد مؤامرة قريش لقتله..
- وانطلق النبي بعد ذلك بخطوات واثقة نحو يثرب وبدأ بالعمل على عدة محاور أهمها:
- بناء المسجد ليكون مركزاً للعبادة والعمل وإدارة المجتمع وشؤون الناس.
- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بهدف تأسيس روابط جديدة بين الناس على أساس رابطة العقيدة والدين متجاوزاً علقة الدم والعصبية والقبلية، فقال: «تأخّوا في الله أخوين أخوين».
- معاهدة المدينة مع القوى الأخرى: بهدف إنهاء حالات الصراع

راسخ ورأي شامخ^(١). وهاجر ﷺ إلى يثرب وله ثلاث وعشرون سنة، وللنبي ﷺ ثلاث وخمسون، ولفاطمة عليها السلام ثمان سنين.

معنى الهجرة:

الهجر في اللغة: ضد الوصل. يقال هَجَرَهُ هَجْرًا وَهَجْرَانًا. والاسم: الهَجْرَةُ. والهَجْرَتان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة. والمهاجرة من أرض إلى أرض: ترك الوطن^(٢).

والملاحظ أن الآيات القرآنية التي تناولت الهجرة إنما قصدت الهجرة إلى المدينة، لأن الهجرة إلى المدينة كانت هجرة حقيقية، بخلاف الهجرة إلى الحبشة، لأن رسول الله ﷺ كان عازماً على تأسيس دولته الدينية في المدينة. وكان مصمماً على التعامل مع الأحداث تعاملًا عالمياً لا ينحصر بأحد القرى أو قريش أو العرب، بل الدنيا كلها.

خيار الهجرة وخطواتها

بعد اكتمال الاستعداد الداخلي عند النبي ﷺ والمسلمين في مكة المكرمة، وحصول نوع من التواصل بين النبي ﷺ وشخصيات وقيائل من يثرب تطوّرت فيما بعد إلى حد البعثة فكانت بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية

طبيعة الهجرة إلى المدينة ومقتضياتها

هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة غرة ربيع الأول من السنة الثالثة عشر من المبعث، وفي تلك الليلة بات أمير المؤمنين عليه السلام على فراش النبي ﷺ.. وكان علي عليه السلام «يجهز النبي ﷺ» حين كان بالغار، ويأتيه بالطعام وخلفه النبي ﷺ... وأمره أن يؤدي عنه أمانته ووصايا من كان يوصي إليه، وما كان يؤتمن عليه من مال [فإنما كان يسمى الأمين]. فأدى أمانته كلها... وأمر النبي ﷺ علياً عليه السلام أن يلحقه بالمدينة.

و «روى الثعلبي في تفسيره قال: لما أراد النبي الهجرة خلف علياً لقضاء ديونه وردّ الودائع التي كانت عنده»^(١). وعلق السيد ابن طاووس في طرائفه: «ثم العجب انه ما كفاه ذلك كله حتى يقيم ثلاثة أيام بمكة بعد النبي ﷺ يردّ الودائع، ويقضي الديون ويجهن عياله ويسد مسدده، ويحمل حرمه إلى المدينة بقلب

(١) نقلها المجلسي في «بحار الأنوار» ج ١٩ ص ٨٦ الطبعة الحديثة، ج ٦ ص ٤٢٢ الطبعة القديمة.

(٢) الطرائف - ابن طاووس ج ١ ص ٣٤.

(٣) «الصالح» مادة (هجر) ج ٢ ص ٨٥١.

والقتال مع الآخرين لا سيما اليهود، والتفرغ لبناء المجتمع الداخلي وأسس الدولة توجه النبي ﷺ نحو عقد معاهدة تعاون بين المسلمين وغيرهم من القوى، ويمكن القول أن هذه الصحيفة كانت بمثابة أول مشروع دستوري لبناء دولة إسلامية متحضرة في مجتمع المدينة.

الدفاع عن كيان الدولة الفتية:

قام المسلمون بقيادة النبي ﷺ بمواجهة حركة النفاق والتمرّد الداخلي التي قام بها اليهود وجماعات أخرى لم يرق لها النظام والاستقرار في مجتمع المدينة الذي اعتادوا بث الفتن والاضطراب فيه.

وحين قويت أركان الدولة وأصبحت كياناً متكاملًا: بدأت مرحلة جديدة من الصراع مع قوى الشرك والضلالة، فكانت غزوة بدر الكبرى، وغزوة أحد وغيرها من المعارك والغزوات العسكرية، وصدر القرار بالقضاء على ما تبقى من اليهود في خاصرة الدولة الإسلامية، ليهزم اليهود حينها، وتشغل المؤامرات على دولة الإسلام في غزوة الخندق بفعل المناعة الداخلية والتخطيط الواعي والمواجهة القوية للأحزاب الفازية.

صفات المهاجرين في القرآن

الولاية بين المؤمنين المهاجرين: لقد انحصر المسلمون في تلك الفترة بالخصوص بطائفتين، هم: المهاجرون الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، والأنصار وهم الذين آووا النبي ﷺ واحتفوا بالمؤمنين المهاجرين ونصروا الله ورسوله ﷺ. وعدا ذلك، كان هناك قليل ممن آمن بمكة ولم يهاجر.

فجعل الله بين المهاجرين والأنصار ولاية شرعية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِآلِيَاءِ بَعْضٍ...﴾^(١). ووصف أعمالهم بأنها أثر من آثار الإيمان الحق: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٢)، ثم وصف الذين هاجروا لاحقاً بالقول: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾^(٣). وفضل الله عز وجل المهاجرين ورفع درجاتهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٤).

فمن صفات الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله، والذين آووهم ونصروهم:

- ولاية بعضهم على بعض: أي التولي بين المهاجرين والأنصار، عدا ولاية الإرث لأنها مختصة بالأرحام والقراءة.

- أنهم مؤمنون حقاً: فقد اثبتوا في أعمالهم وأفعالهم وأنهم اتصفوا بالصفات الحقيقية للإيمان. فوعدهم الله بالمغفرة والرزق الكريم.

- أن الهجرة كانت من لوازم الإيمان، فكان يسبق الكلام عن الهجرة كلام عن الإيمان بصيغة: «الذين آمنوا وهاجروا...»

- إظهار صفة التفاضل بين المهاجرين وغير المهاجرين من المؤمنين: فالمؤمن المهاجر أعظم درجة عند الله، لأنه بذل ما استطاع في سبيله عز وجل، من الإيمان والهجرة والجهاد.

الأبعاد الدينية والاجتماعية للهجرة

من المعاني المهمة للهجرة الابتعاد عن الوطن مسافة بعيدة، والبقاء في الوطن الجديد بصورة دائمية ونهائية. وقد كانت الهجرة من مكة إلى يثرب هجرة حقيقية، لأنها كانت تعني الابتعاد عن الوطن مسافة طويلة، ولأن النية كانت استحداث مدينة دائمية لعاصمة الإسلام. وقد تحقّق ذلك.

ولا شك أن الذهاب إلى يثرب من قبل المسلمين لم يكن مجرد انتقال عابر من مدينة إلى أخرى، بل كانت حركة مخطط لها وكانت هجرة في سبيل الله. وقد أشار القرآن المجيد إلى ذلك بالقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ...﴾^(٥). وفلسفة الهجرة من مكة

إلى المدينة - التي نورها رسول الله ﷺ بوجوده فيها - تستلطن فكرة تصرّح بأنه كانت هناك فرصة لتثبيت الإسلام في موقع آمن ونشره في العالم، بعد أن كان محصوراً في بيوت معدودة في مكة. فلم تكن تلك الهجرة إذن اقتصادية أو اجتماعية بل كانت دينية وجهادية بكل ما تغنيه الكلمة.

ولا شك أن الاضطهاد الديني يعدّ من أهم العوامل التي تدفع الإنسان للهجرة من بلده. وقد عانى رسول الله ﷺ وعليه وآله وبقيّة المسلمين من ظلم قريش ومحاربتها للدين الجديد. ولذلك فقد كانت الهجرة عملية حتمية. لان التقية مقيدة بعدم القدرة على مواجهة الظالم، ولا يمكن أن تؤدي وظيفتها في ظرف كان يتطلب الانطلاق والتحرك والجهاد في سبيل الله ومقاومة المشركين. وقد استخدمت التقية على نطاق ضيق في قضية عمار بن ياسر ومسلمين مستضعفين آخرين. ولكن استثمار رخصة التقية لا يمكن أن يستمر هكذا فيختنق الدين، فكان لابد من التحرك باتجاه المدينة.



(١) سورة الأنفال، الآية ٧٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٧٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٧٥.

(٤) سورة التوبة، الآية ٢٠.